AL-AZKIYAA
INTERNATIONAL JOURNAL OF LANGUAGE AND EDUCATION
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA

آليات تلقي الصحابة – رضوان الله عليهم– للقرآن الكريم: دراسة دلالية تداولية

The Mechanisms of the Companions' Reception of the Holy Quran: A Semantic Pragmatic Study

Muhammad Abdel Rahman Ibrahim[1], Mohammad Khalil Mohammad Alramadeen[2]

[1]*Assistant Professor, International Islamic University Malaysia, Kulliyyah of Sustainable Tourism and Contemporary Languages*
E-mail: mansoura@iium.edu.my

[2]*Assistant Professor, International Islamic University Malaysia, Kulliyyah of Sustainable Tourism and Contemporary Languages.*
E-mail: m.ramadeen@iium.edu.my

Article Info

Article history:
Received: 24/03/2024
Accepted: 16/05/2024
Published: 30/10/2024

DOI:
https://doi.org/10.33102/alazkiyaa89

ملخص البحث

تلقّى الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم مِن فِيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، عذباً نديّاً. ولم يألُ الصحابة جهداً في حفظ القرآن وتطبيقه في حياتهم ومعاملاتهم، ومحاولة الوقوف على مرامي الخطاب. وانطلاقاً من كَوْن الصحابة الأبرار هم الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأعلم بمواطن النزول وأسبابه، يأتي سعي هذا البحث إلى الوقوف على الآليات التي عوَّل عليها الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– عند تلقي القرآن الكريم، وذلك من منظور دلاليّ تداوليّ. وقد أُستخدِم المنهج الوصفيّ التحليليّ، وذلك بالرجوع إلى مظانّ البحث واستقرائها وتحليلها؛ للوصول إلى نتائج علمية موضوعية. وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، منها: اتّكاء الصحابة على عدة استراتيجيات عند تلقيهم النص القرآني، ومنها: التضام، ومبدأ التشابه، والمعرفة الخلفية، ومراعاة سياق الموقف.

الكلمات المفتاحية: تلقي، القرآن الكريم، دلالة، سياق، التضام، التلازم اللفظي، المعرفة الخلفية.

Abstract:

The companions (Sahaba) of the Prophet Muhammad (peace be upon him) received the Holy Quran directly from him, pure and eloquent. They spared no effort in memorizing the Quran and applying its teachings in their lives and dealings, striving to understand its deeper meanings. Given their proximity to the Prophet Muhammad (peace be upon him) and their

© The Authors 2024. Published by Penerbit USIM. This is an open access article under the CC BY 4.0 license.

knowledge of the circumstances surrounding the revelations, this research seeks to understand the mechanisms relied upon by the companions - may Allah be pleased with them all - when receiving the Quran, from a semantic and pragmatic perspective. A descriptive-analytical approach was employed, delving into the sources of the research, extrapolating and analyzing them to arrive at objective scientific conclusions. The research yielded several results, including the reliance of the companions on various strategies when receiving the Quranic text, such as coherence, the principle of similarity, background knowledge, and consideration of the context of the situation.

Keywords: Reception, Quran, Semantics, Context, Coherence, Phonetic Coherence

المقدمة

يُعَدُّ نزول القرآن الكريم بداية لتاريخ مجيد لأمة عريقة شرّفها الله تعالى بنبي كريم يتنزل عليه الوحي، هدىً وبياناً للعالمين. وقد عكف المسلمون على تدبُّر آي الذكر الحكيم، والوقوف على مرامي الخطاب، ولم يَتَوانَ الصحابة عن حفظه، ثم جمْعه في مصحف شريف، اجتمعت عليه الأمه. ولا يزال القرآن يُرتَّل بعد أن تلقاه الصحابة نديّاً مِن فيّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهكذا دواليك حتى قيام الساعة. ويروم هذا البحث استكناه الآليات التي تبنّاها الصحابة–رضوان الله عليهم– عند تلقي القرآن الكريم. وتتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن سؤال رئيس مَفاده: ما الآليات التي عوَّل عليها الصحابة –رضوان الله عليهم– في تلقي القرآن الكريم؟ وتبنَّى البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بالرجوع إلى مظان البحث، تمهيداً للإجابة عن السؤال الرئيس لهذه الدراسة التي جاءت في ثلاثة مباحث مذيَّلةً بخاتمة، تتضمَّن أهم النتائج.

المبحث الأول: إطلالة عامَّة على نظرية التلقي

ظهرت نظرية التلقي بأطرها ومصطلحاتها الجديدة في أواخر الستينيات من القرن العشرين، على أيدي ناقديْن نابهيْن، هما: ياوس، وآيزر؛ حيث توخَّت هذه النظرية استكناه علاقة النص بالقارئ، والتفاعل القائم بينهما، واهتمت بالقارئ بوصفه متلقياً مساهماً في إبداع النص الأدبي مُعَوِّلاً على التأويل والتذوق[1].

وهكذا تضامنت نظرية التلقي مع اتجاهات ما بعد البنيوية في نبْذ الشكل الواحد للمعنى وتقويض مبدأ الإيمان بالملفوظ اللساني دليلاً وحيداً أو وسيطاً لبناء جمالية النص ومحاورة بنيته[2].

ثمة مصطلحات أفرزتها نظرية التلقي، ومن أبرزها: أفق توقُّع القارئ، وسد ثغرات النص، والقارئ النموذجيّ، والخبرة الجمالية وإدراك القارئ[3]. وما يعنينا — في هذا المقام– المصطلحان الأولان. فأفق التوقع هو ما يتوقعه القارئ عند تلقي النص الأدبيّ، وذلك بناءً على ثقافة هذا القارئ وتعليمه وقراءاته السابقة، ويعد هذا نظاماً مرجعياً أو نظاماً ذهنياً يرفده بآليات التلقي[4]. أما

[1] ناجي، آلاء محمود محمد، شعر أبي القاسم الشابي في ضوء نظرية التلقي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2011–2012.

[2] صالح، بشرى موسى، نظرية التلقي أصول وتطبيقات (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2001) ص52.

[3] محمودي، عبد الكريم، *التلقي بين القديم والمعاصر*، مجلة آفاق للعلوم جامعة الجزائر 2، المجلد 5، العدد 2، 2020.

[4] شادلي، سميرة، *مفاهيم أساسية في جمالية التلقي*، مجلة البدر، المجلد 9، العدد 6، 2017، ص 147.

الفجوات النصية فهي ما يتعمد المؤلف تركه للقارئ كي يشحذ ذهنه ويشارك في صنع المعنى. وهي مدعاة إلى الركون إلى السياق، والوقوف على المعاني الثواني الكامنة في تلافيف النص.

وتأسيساً على ما سبق، يتعيَّن على المتلقي والمؤول أن تتوافر فيهما عدة مقومات، منها:

- امتلاك الطلاقة اللفظية والفكرية، والقدرة على خلق أفكار جديدة.
- التفكير في أكثر من اتجاه.
- إعطاء استجابات أصيلة.
- القدرة على التقييم.
- التمكن من معرفة العناصر ذات العلاقة والمرتبطة بثيمات النص الأساسية والفرعية[5].

ويرى شادلي أن عملية القراءة يُفترض أنها تمر بالمراحل الآتية:

- مرحلة ما قبل القراءة، وفيها يكون القارئ مُتذوِقاً.
- مرحلة القراءة، ويصبح فيها القارئ متأمِلاً.
- مرحلة ما بعد القراءة، وفيها يقوم القارئ بدور المؤوِّل، والمنتِج لنص قابل للقراءة من جديد[6].

ومن ثمَّ، فإن المتلقي يتسلَّح بقدرات لسانية وعقلية وثقافية، تتيح له الوقوف على عتبات النص، ثم الولوج إلى أعماقه وتلافيفه، مرحلةً تِلْوَ مرحلةٍ؛ حيث إنَّ التلقي عملية بنائية تراكمية واعية.

المبحث الثاني– الجانب العملي لتلقي الصحابة للقرآن الكريم

بادِئ ذي بَدْء، تلقَّى الصحابة القرآن ندياً مِنْ فِيّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم–، وقد سمّى السيوطي كثيراً منهم فذكر الخلفاء الأربعة، وطلحة وسعداً، وبن مسعود، وحذيفة، وسالمً، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة[7].

وقد شَرُف بعض الصحابة بالقراءة على النبي– صلى الله عليه وسلم– ومن هؤلاء أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه – "(عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لأبي بن كعب:" إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) قال: وسماني ربي؟ قال: نعم، فبكى")[8]. وقد أشير إلى بعض القراء من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–،" عن مسروق قال: ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذلك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله —

[5] علوان، ملاذ ناطق وسهيل، ديلم كاظم، *التلقي والتأويل في النقد الأدبي*، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، الجزء 2، العدد 37، تشرين الثاني 2019، ص 168.

[6] المصدر نفسه، ص 168.

[7] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط،1978) ج1، ص 124.

[8] أبو الفضل الرازي، كتاب فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تُلاته وحملته، تحقيق: عامر حسن صبري (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1994) ، ص 55.

صلى الله عليه وسلم– يقول:" استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود– فبدأ به– وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل" قال: لا أدري، بدأ بأُبيٍّ أو بمعاذٍ"[9].

" وقد تلقى الصحابة القرآن بعضهم على بعض، عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله —صلى الله عليه وسلم– ونحن نقرأ القرآن، وفينا العجمي والعربي، قال: فوقف علينا يستمع، فقال" اقرءوا فكلٌ حسنٌ) وذكر الحديث"[10].

ومن طرائق تلقي القرآن أن يعرض الأكبر من الصحابة سناً وسابقةً على الأصغر منهم" عن ابن عباس قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف ذات ليلة ونحن بمنى، وذكر حديث السقيفة بطوله.[11]

ولقد اعتمد الصحابة على التلقي" إذ إن للتلاوة أحكاماً ينبغي أن يأخذ بها تالي القرآن كالقلقلة، والروم، والإشمام، والإخفاء، والإقلاب، ولإظهار، والإدغام، ونحو ذلك، وليس من السهل، بل قد يتعذر كتابة مثل هذا، ولهذا قرر العلماء– رحمهم الله– أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها، بل لا بد من التلقي عن حافظ متقن، وكانوا يقولون:(من أعظم البلية تشييخ الصحيفة)، ويقولون: (لا تأخذوا القرآن من مصحفي، ولا العلم من صحفي...)[12].

" وقد كان الرسول– صلى الله عليه وسلم– يبعث القراء إلى من يدخل في الإسلام لتعليمهم التلاوة، وكان بإمكانه– صلى الله عليه وسلم– أن يكتب لهم، فقد بعث– صلى الله عليه وسلم– مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم إلى أهل يثرب يعلمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن، وحين فتح مكة خلّف على أهلها معاذ بن جبل يقرئهم القرآن، واقتدى بسنته من بعده الخلفاء الراشدون، فقد أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه – عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل، وأبا الدرداء ليعلموا أهل الشام القرآن بعد فتحها، ولما نسخ عثمان– رضي الله عنه –المصاحف، أرسل مع كل مصحف قارئاً يُعلِّم الناس عليه، فأمر زيد بن ثابت أن يُقرئ بالمدينة، وعبد الله بن السائب إلى مكة، والمغيرة بن شهاب إلى الشام، وعامر بن عبد قيس إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي إلى الكوفة..."[13].

وهذا التلقي الشفهي" يعني اتصال سند كل مسلم برسول الله — صلى الله عليه سلم– عن جبريل عن ربه في القرآن الكريم."[14]

ومن الجدير بالذكر أن الصحابة وضعوا التطبيق العملي للقرآن نصب أعينهم، ولم يدخروا جهداً في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم –الذي وصفته عائشة قائلةً (كان خلقه القرآن).

---

[9] أبو القاسم، محمد زكي الدين محمد، جامع البيان لما اتفق عليه الشيخان (الغردقة: دار الصفوة، ط1، 1999) ج13، ص 689.

[10] المصدر نفسه، ص 60.

[11] المصدر نفسه، ص 59.

[12] فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي، خصائص القرآن الكريم(الرياض:مكتبة العبيكان، ط1،2000)، ص 170.

[13] المصدر نفسه، ص 171.

[14] المصدر نفسه، ص 172.

" ذكر الإمام أبو عمر الداني في كتابه (البيان) بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبيّ رضي لله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم –كان يقرئهم العشر(أي مِنَ الآيات) فلا يجاوزها إلى عشر أخرى، حتى يتعلموا ما فيها من العمل... قالوا: فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً[15].

وها هو حَبْر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن " من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) (طه:123)."[16]

وكان ابن عباس –رضي الله عنهما– يعتمد على ديوان العرب إذا أُشكل عليه شيء من غريب القرآن، وفي ذلك يقول: "إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب"[17].

ومُستصفى القول –هنا– أنَّ القرآن قد حُفِظَ في الصدور، وطبَّقه الصحابة في حياتهم العملية، تأسِّياً واسترشاداً بالرسول عليه الصلاة والسلام؛ فقد كان قرآناً يمشي على الأرض. ولم يَخْلُ ما ورد في القرآن من غريب الألفاظ، بين الصحابة وبين العمل بمقتضاه في مناحي الحياة. ويُعدّ النظْم القرآني وغريبه من وجوه الإعجاز الذي تحدّى به الله تعالى أرباب الفصاحة والبلاغة من العرب. وهذا يُفْضِي إلى وجوب امتلاك أدوات التلقي؛ لفهم القرآن الكريم وسبر أغواره.

المبحث الثالث– الجانب الدلالي والتداولي لتلقي الصحابة للقرآن الكريم:

من الجليّ أنَّ " الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يفسر القرآن كله؛ وذلك لأنه أراد من المسلمين أن يتدبروا القرآن، وأن يجتهدوا في تفسيره، في نطاق السياق واللغة والمأثور..."[18]. كما أنَّ " تفسير القرآن بدأ من عصر النبي، عليه وآله الصلاة والسلام، فكان النبي يفسر ما تدعو له الحاجة، لأن القرآن كتاب عربي من جهة، وكتاب سماوي من جهة ثانية، وإذا كان العرب الذين نزل فيهم يفهمونه من الجهة الأولى، فإن الجهة الثانية وهي كوْن الكتاب سماوياً تحتاج إلى أن يفهموا بعض المصطلحات..."[19].

ومن ثم، فإن الصحابة تلقوا القرآن في ضوء القدر الذي فسره لهم النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولم يألوا جهداً في فهم ما عدا ذلك، من خلال الاستعانة بكبار الصحابة، ومن بينهم ابن عباس رضي الله عنهما.

" وكان أكثر الصحابة أميين، ولم تكن أدوات الكتابة متيسرة لديهم، فكان ذلك حائلاً أيضاً دونه التأليف في هذا العلم. زد على ذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– نفسه قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، وقال لهم

---

[15] القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، محمد رضوان عرقسوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006) ج1، ص44.

[16] المصدر نفسه، ج1، ص 18.

[17] المصدر نفسه، ج1، ص68.

[18] فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ط2،1987)، ص 240.

[19] المصدر نفسه، ص 241.

أول العهد بنزول الوحي:" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني ولا حرج. ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". وكان ذلك مخافة أن يختلط القرآن بما ليس منه"[20].

" وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم :" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). وقال له أيضاً:(اللهم آته الحكمة).[21]

وسيتناول البحث جانباً من تفسير ابن عباس؛ للوقوف على طرائق تلقيه للنص القرآني. فقد" أخرج من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله (السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) (الأنبياء: 30).

فقال: اذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال: كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات. فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال: كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أُوتي علماً"[22].

فالآليات التي عوَّل عليها ابن عباس؛ لسد الفجوة النصية التي أعْيَتِ السائل، وكذلك ابن عمر عند تلقي الآية السابقة، هي:

– مفهوم التضام[23] (السماوات والأرض) فهذان اللفظان تجمعهما علاقتان، وهما:

أ– علاقة التعارض المكاني (الفوقية– التحتية).

ب– علاقة الاشتراك في مجال دلالي واحد، وهو أنهما من مخلوقات الله عزَّ وجلَّ.

– الوقوف على المعنى الدلالي لكلمتين محوريتين وردتا في الآية، وهما: رتق، وفتق.

فالمعلوم أن" الرتق ضد الفتق، وقد (رَتَقَ) الفتقَ من باب نَصَرَ (فارتتق) أي التأم..."[24].

– ثم اعتمد ابن عباس على السياق؛ للاستفادة من المعطيات السابقة، فتكملة الآية (وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ) حيث أدرك أن الفتق يستوجب نزول المطر الذي يحيي الأرض– بأمر الله– فتتفتق الأرض عن النبات، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وترى الأرضَ هامِدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ) (الحج: 5).

ولنستعرض مثالاً آخر لتأويل ابن عباس رضي الله عنهما؛ لنقف على جانب آخر من الآليات التي تُبين لنا كيفية تلقيه للقرآن الكريم. ذكر السيوطي" ...أخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القُرَظيّ عن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة، فذكروا ليلة القدر، فتكلم كلٌّ بما عنده، فقال عمر: مالك يا بن عباس صامت لا تتكلم! تكلمْ ولا تمنعك الحداثة، قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله وتْرٌ يحب الوتر، فجعل أيام الدنيا تدور على السبع، وخلق

---

[20] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن (بيروت: دار العلم للملايين، ط24، 2000)، ص 120.

[21] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص 205.

[22] المصدر نفسه، ج4، ص 205–206.

[23] التضام هو: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك". خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط2، 2006) ص 25.

[24] الرازي، ترتيب مختار الصحاح، دققه: عصام فارس الحرستاني (عمان: دار عمار، ط9 ،1996)، ص 121.

الإنسان من سبع، وخلق فوقنا سماواتٍ سبعاً، وخلق تحتنا أرضين سبعاً، وأعطى من المثاني سبعاً، ونهى عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالكعبة سبعاً، وبين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمار بسبع، فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان. فتعجب عمر، وقال: ما وافقني فيها أحدٌ إلا هذا الغلام الذي لم تستوِ شؤون رأسه، ثم قال: يا هؤلاء، مَنْ يؤدبني في هذا كابن عباس!"[25]

وتأسيساً على ما سبق، يمكن فهم الطريقة التي تلقَّى بها ابن عباس سورة القدر بناءً على مبدأ التشابه Principle of Similarity، فمن الملاحظ أن تراكُم التجارب، أي مواجهة المتلقي للخطابات، واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات لا يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناءً على المعطى النصي الموجود أمامه فقط، ولكن بناءً أيضاً على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أي النظر في الخطاب الحالي في علاقته مع خطابات سابقة تشبه، أو بتعبير اصطلاحي، انطلاقاً من مبدأ التشابه[26]. فقد نظر ابن عباس إلى الرقم (سبعة) الذي يمثل ضرباً من ضروب الوتر، واختاره بناءً على مبدأ التشابه؛ فقد ورد هذا الرقم – في معهود الخطاب الديني– في المقام الأول– مشيراً إلى الأمور الآتية:

أ– أيام الأسبوع.

ب–الخلق (الإنسان/ السماوات/ الأرضين).

ج–السبع الطوال في القرآن، مع ملاحظة أنه قد يُراد بها فاتحة الكتاب.

د–نكاح الأقربين.

هـ– تقسيم الميراث.

و– أعضاء السجود.

ز– الطواف (الكعبة/ الصفا والمروة).

ح– رمْي الجمرات.

ومُقْتَضَى ما تقدَّمَ أنَّ ابن عباس تيقَّن من أن ليلة القدر في السبع الأواخر من رمضان بناءً على مبدأ التشابه الوارد في معهود الخطاب الديني في الكثير من وجوهه. وهذا يؤكد أن التصدي الناجع للتلقي والتأويل يكمن في عمق ثقافة المتلقي وغزارة معارفه وحِدَّة ذكائه.

ومن ناحية أخرى، فإننا نجد ابن عباس قد استوقفته عدة كلمات في القرآن الكريم، ولم يستجلِ دلالاتها إلا بسياق الموقف، ومن ذلك ما أُخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال:" كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أنا بدأتها"[27].

---

[25] السيوطي، مصدر سابق، ج4، ص 206–207.

[26] محمد خطابي، مصدر سابق، ص 58.

[27] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(الرياض: دار عالم الكتب، 1997)، ج3، ص 670.

وتجدر الإشارة إلى أن "(الفَطْر) الابتداء والاختراع"[28]. " و(فَطَرَ) الله العالمَ: أوجده ابتداءً"[29]. فعلى الرغم من كوْن ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن، إلا أنَّه لم يقف على المراد من أحد دوال غريب القرآن، متمثلاً في (فَطَرَ)، وكان سياق الموقف– الوارد على النحو السابق– معيناً له على ذلك على الرغم من سعة علمه بالعربية.

وفيما يتعلق بطريقة تلقي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للنص القرآني، يلاحظ وقوفه على معانيه ومقاصده، فهو العربي الفصيح، النوّاق لعيون الشعر، الملازم للنبي — صلى الله عليه وسلم – في كثير من أوقاته، ولم يمنع ذلك عمر– رضي الله عنه– من أن يتساءل عن معاني بعض الألفاظ التي لا يدرك كنهها، ومن ذلك ما أورده ابن كثير" عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب (عَبَسَ وتَوَلَّى) فلما أتى هذه الآية:

(وفاكهة وأبّاً)، قال: عرفت ما الفاكهة، فما الأبُّ؟ فقال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف"[30].

وتجدر الإشارة إلى أن الدال (الأبّ) قد اخْتلِف في تفسيره، فقد ذكر ابن عباس أنه ما أنبتتْ الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وقال إنه: الحشيش للبهائم، وقال مجاهد إنه الكلأ[31].

ويُلاحَظ –هنا– اختلاف الصحابة إزاء النظر في غريب القرآن؛ فمنهم من توقف عنده، وتساءل عنه، كما صنع عمر، ومنهم من تجاوزه مهتماً بما تيسر له فهمه. " فقد جاءت المعجزة قرآناً يقرأونه بألسنتهم، ويسمعونه بآذانهم، ويزنونه بموازين كلامهم، فإذا به أبلغ من بليغ الكلام، وأفصح من فصيحه، لا يرتقي إليه بيان، ولا يدركه لسان، فملك البلاغة بألوانها، وحاز الفصاحة بأركانها، وجاءهم بما لا قِبَلَ لهم برده، ولا قدرة لهم في دفعه..."[32]. فالصحابة"كانوا يفهمون القرآن لأنه بلسان عربي، وهو لسانهم، وإن لم يكونوا على علم تام بدقائق معانيه... ولذلك تفاوت الصحابة في فهم القرآن ولا ضير في ذلك، فإن اللغة لا يحيط بها إلى معصوم..."[33].

وينضاف إلى ما سبق، أنَّ ثمة دوالّ نَبَتْ عن فهْم الصحابة الأجلّاء، وخالفت أفُق توقعاتهم، فانفتح النص أمام التأويل، وقد ساعد التلازم اللفظي على تلمُّس المعاني المحتملَة، فإن أشارت الفاكهة إلى ما يناسب الإنسان، فالدالّ (أباً) يشير إلى طوائف من المخلوقات الأخرى التي تشارك الإنسان في الوجود والاقتيات.

ومن ناحية أخرى، فإن عمر– رضي الله عنه–كان يعيد قراءة النص القرآني في ضوء مستجدات عصره، ومن ذلك موقفه من سهم المؤلفة قلوبهم. وفي ذلك يقول الله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (التوبة: 60) ولفهم السياق الاجتماعي يُشار– هنا– إلى أن هناك " ناساً كان الرسول — صلى الله عليه وسلم – قد تألف قلوبهم من مشايخ البدو مثل العباس بن برداس (ت

---

[28] ينظر: الرازي، ترتيب مختار الصحاح، ص 611.

[29] إبراهيم أنيس (وآخرون) المعجم الوسيط (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت)،ج2، ص 694.

[30] ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص558.

[31] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[32] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مصدر سابق، ص 96.

[33] كامل موسى، علي دحروج، كيف نفهم القرآن (بيروت: دار بيروت المحروسة، د.ط، 1992)، ص 166.

18هـ-639م)، والأقرع بن حابس(ت 31هـ- 651م)، وبقي هؤلاء يأخذون السهم، وجاؤوا لأخذه أيام عمر- رضي الله عنه- فقال: من أنتم؟ قالوا: المؤلفة قلوبهم، قال: وهل نحن اليوم محتاجون لتأليف قلوبكم، فتحنا فارس والروم، والإسلام استقر وتوطد، فعمر لم يلغِ السهم، ولكنه ألغى استغلال بعض الناس للسهمِ، أي ألغى استحقاق الناس له عندما وصلوا إلى مرحلة معينة من الغنى..."[34].

ومن أمثلة تلقي الفاروق عمر -رضي الله عنه- للقرآن الكريم، موقفه من حد السرقة في عام الرمادة، فقد قال الله تعالى:(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) (المائدة: 38).

وقد يظن أناس أن عمر- رضي الله عنه- قد عطَّل النص القرآني، لكن النظرة الواعية لهذا الاجتهاد الطليعي يوضح لنا عدة حقائق، نجملها على النحو الآتي:

- النص القرآني نص مفتوح، يجب قراءته في كل عصر- في ضوء- حاجات الناس وظروف معايشهم.
- الاجتهاد في القراءة المعاصرة للنص القرآني يجب أن يواكب مقاصد الشريعة، ففي مسألة المؤلفة قلوبهم، حافظ عمر على (المال)، وفي مسألة حد السرقة في إبّان عام الرمادة (18هـ)، حين داهم القحط المدينة المنورة وما حولها، حافظ الفاروق على (النفس)؛ فالجوع يُودي بحياة الإنسان. ولذلك كان تلقي عمر للنص القرآني في هذه الظروف، منسجماً مع روح الشريعة ومقاصدها السمحة. ومن ثم فإن" إعمال المقصدية في تأويل القرآن تعصم القارئ من إنتاج تأويلات تصطدم مع المقاصد الربانية ويمكن صياغة القاعدة التأويلية الآتية:

(كل تأويل تعارَضَ كلاً أو جزءاَ مع مقصد من مقاصد الشريعة فهو تأويل فاسد كلاً أو جزءاً")[35].

- "كان عمر -رضي الله عنه- وقّافاً عند حدود الله، بل كان ظاهر القرآن يملكه."[36]
- يَنُمُّ موقف عمر- رضي الله عنه- عن قدرة جليَّة على إعطاء استجابة أصيلة عند تلقي القرآن، فضلاً عن قدرته على تقييم الموقف، وهذان المظْهَران من مُقومات التلقي على النحو المشار إليه في المبحث الأول.

وثمة مَلْمَح آخر من ملامِح تلقي الصحابة للنص القرآني، ويتمثل ذلك في وقوف بعضهم عند ظاهر نص لا يتطلب ذلك، ولا سبيل إلى فهمه سوى إدراك ما فيه من المجاز، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى:" وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" (سورة البقرة: 187). " قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أخبرنا حُصين، عن الشعبي، أخبرني عديّ بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية...عمدت إلى عقالين، أحدهما أسود والآخر أبيض، قال: فجعلتهما تحت وسادي، قال: ثم جعلت أنظر إليهما، فلا يتبين لي الأسود من الأبيض، ولا الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت على رسول الله- صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بالذي صنعت. فقال: إن كان وسادك إذاً لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل"[37].

---

[34] محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن (القاهرة: دار نهضة مصر، ط7،2007)، ص 211- 212.

[35] مصطفى تاج الدين، *النص القرآني مشكل التأويل*، مجلة إسلامية المعرفة، المجلد 4، العدد 14، ص 25.

[36] محمد الغزالي، مصدر سابق، ص 211.

[37] ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص 275.

والتساؤل المطروح الآن هو: ما الخطوات التي اتبعها الصحابي الجليل، ومن دار في فلكه؟

فالواضح أنه اتبع الخطوات الآتية:

– توقَّفَ عند كلمة محورية وهي الخيط، وما تعلق بها من لونيْ البياض والسواد.

– فهم ظاهر الكلمات السابقة، واستدعى من معرفته الخلفية (Background Knowledge) ما يعزز الظاهر.

– لم يلتفت إلى القرينة (من الفجر) التي تحدد ما في النص من مجاز.

" وذكر ابن القيم أنه لا يجوز صرف الكلام عن حقيقته إلا إذا توفر له أربعة أمور، فقال:" من ادعى صرف لفظ عن ظاهره إلى مجازه لم يتم له ذلك إلا بعد أربعة مقامات:

أ– بيان امتناع إرادة الحقيقة.

ب–بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه، وإلا كان مفترياً على اللغة.

ج– بيان تعيين ذلك المجمل إن كان له عدة مجازات.

د– الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة"[38].

ومن ثم، يتبين لنا أن إرادة المعنى الحقيقي على النحو الذي أدركه الصحابي الجليل عدي بن حاتم، لا يتفق مع المقصود من الآية الكريمة، فضلاً عن أن وجود القرينة توجه فهمنا للمعنى المجازي للآية.

وثمة وجه أخير من وجوه تلقي الصحابة –رضوان الله عليهم– للقرآن، يتمثل في تلقيهم القرآن عن الرسول– صلى الله عليه وسلم – بقراءات متعددة. وقد تلقّاها قوم دون قوم، وأثبتها بعضهم في مصحفه الذي خطَّه بيده على نحو ما فعل أبيّ وابن مسعود. [39]. وقد روى البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان– رضي الله عنه–، وكان يغازي أهل الشام مع أهل العراق في أرمينية وأذربيجان، فأفزعه اختلافهم في القراءة، فنقل ما حدث إلى عثمان[40].

وما يهمنا في هذا المقام مجرد الإشارة إلى أثر تعدد القراءات في تلقي النص القرآني، ويمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:

– تيسير تلقي القرآن نظراً لاختلاف اللهجات.

– تذوق بلاغة القرآن، ومن ذلك ما ورد من تقديم وتأخير.

– اختلاف التأويل.

وفيما يتعلق بالاستراتيجيات التي تبنّاها الصحابة– رضوان الله عليهم– عند تلقي النص القرآني– في ضوء ما أسلفنا إليه– تنحصر في: التضام، والسياق، ومبدأ التشابه، والمعرفة الخلفية.

---

[38] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران (مكة: دار الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت) ج4، ص 1660.

[39] ينظر: شعبان محمد إسماعيل (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3،2012) ، ص 18.

[40] ينظر: المرجع نفسه، ص 15–16.

خاتمة البحث

تناول البحث تلقّي النص القرآني لدى الصحابة رضوان الله عليهم؛ في محاولة للوقوف على بعض الآليات التي استخدموها في هذا الصدد، وذلك من منظور دلالي تداولي، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، مِنْ أهمها ما يلي:

1- اهتم الصحابة بالتطبيق العملي لآي الذكر الحكيم، ولم يمنعهم غريب القرآن من هذه الغاية التي تصدَّى لها ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة الأبرار، وذلك استئناساً بمعهود كلام العرب، وملابسات نزول القرآن، وغير ذلك.

2- مِن الاستراتيجيات التي اتكأ عليها الصحابة عند تلقيهم النص القرآني: التضام، ومبدأ التشابه، والمعرفة الخلفية، ومراعاة سياق الموقف.

3- مِن الصحابة مَنْ وقف عند ظاهر الآية، مع أنها لا تُفْهَم إلا بالوقوف على المعنى المجازي.

4- تلقي عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– القرآن في ضوء الأحداث الجارية، على نحو يشي بالقدرة على الاستجابة الأصيلة للتلقي، والقدرة على تقييم الموقف، مما يؤكد أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهذا يوجب على المسلمين إعادة التلقي في كل عصر مع مراعاة مقاصد الشريعة، وانضباط التأويل.

قائمة المصادر والمراجع

Al-Quran Al-Kareem.

Abd Alkarim, Mahmodi. (2020). *Al-Talaqqi bayn al-qadim wa al-mu'asir*. Majallat Afaq li-l-'ulum Jami'at al-Jaza'ir 2, 5(2).

Abu al-Qasim, Muhammad Zaki al-Din Muhammad. (1999). *Jami' Al-Bayan lima Ittafaqa Al-Shaykhan* (1st ed.). Al-Ghardaqah: Dar Al-Safwa.

Al-Farra', Abu Zakariya Yahya bin Ziyad. (2002). *Ma'ani Al-Qur'an* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.

Al-Ghazali, Muhammad. (1991). *Kayfa Nata'amal Ma'a Al-Qur'an* (1st ed.). Herndon, Virginia: Al-Ma'had Al-Alami lil-Fikr Al-Islami.

Al-Laham, Muhammad Said. (2002). *Al-Mu'jam Al-Mufahras li-Alfaz Al-Qur'an Al-Karim* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Ma'arifah.

Al-Razi, Abu al-Fadl 'Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn Hasan. (1994). *Kitab Fada'il al-Qur'an wa-Tilawatihi* (1st ed.). Bayrut: Dar al-Bashair al-Islamiyya. (Original work published 1415 AH).

Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir. (1992). *Tartib Mukhtar Al-Sihah* (Shihab al-Din Abi Omar, Ed.). Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Rumi, Fahd bin Abdul Rahman bin Suleiman. (1989). *Khasa'is Al-Qur'an Al-Karim* (5th ed.). Riyadh: D. N.

Al-Saleh, Subhi. (2000). *Mubāḥathāt fī 'Ulūm al-Qur'ān* (24th ed.). Bayrut: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1988). *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*, tahqiq: Muhammad Abi al-Fadl Ibrahim. Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah. (Original work published 1408 AH).

Alwan, Miladh Natiq & Suhail, Daylam Kazim. (2019). "Al-Talqi wa Al-Ta'wil fi Al-Naqd Al-Adabi." *Majallah Kulliyat Al-Tarbiyah, Jami'at Wasit, Al-Iraq*, 2(37).

Abbas, Fadl Hasan. (2000). *Qadaya Qur'aniyya fi al-Mawsu'a al-Britaniyya* (Amman: Dar al-Fath, 1st ed., 1421H).

Ibn al-Qayyim, Abu 'Abd Allah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub. *Bada'i' al-Fawa'id*, tahqiq: 'Ali ibn Muhammad al-'Imran (Makka: Dar al-Fawa'id li-l-Nashr wa-l-Tawzi').

Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il ibn 'Umar. *Tafsir al-Qur'an al-'Azim* (al-Riyad: Dar 'Alam al-Kutub, 2nd ed., 1418 AH – 1997 CE).

Isma'il, Muhammad Bakr. (1991). *Dirasat Fi 'Ulum Al-Qur'an* (1st ed.). Al-Qahira: Dar Al-Manar.

Khattabi, Muhammad. (1991). *Lughaniyat Al-Nass: Madkhal Ila Anisajam Al-Khitab* (1st ed.). Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.

Khattabi, Muhammad. (2006). *Lughaniyat Al-Nass: Madkhal Ila Anisajam Al-Khitab*. Al-Maghrib: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.

Mousa, Kamel., & Dahrouj, Ali. (1992). *Kayfa Nafham Al-Qur'an*. Beirut: Dar Beirut Al-Mahrousa.

Naji, Alaa Mahmoud Mohammed. (2011-2012). *She'r Abi Al-Qasim Al-Shabi fi Daw' Nazariyat Al-Talaqi*. Risalat Majisteer, Jami'at Al-Sharq Al-Awsat.

Saleh, Bushra Musa. (2001). *Nazariyat al-Talqi: Asul wa Tatbiqat* (1st ed.). ad-Dar al-Bayda': al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Shadli, Samira. (2017). "Mafahim Asasiyya fi Jamalyyat al-Talqi." *Majallat al-Badr*, 9, 6, 147.

Taj al-Din, Mustafa. (1998). "Al-Nass Al-Qur'ani wa Mushkilat Al-Ta'wil." *Majallah Islamiyah Al-Ma'rifa*, 4(14).